١ – البعد الفلسفي لمفهوم الحضارات الكاملة والانسان الكامل في أدب توفيق الحكيم

بقلم الدكتورة فدوى نور الدين الخطيب
استاذ مساعد في كلية التربية في الجامعة اللبنانية
rimahkhatib@gmail.com

ليس من شك ان دراستنا لأدب اي امة ان تحتاج الى معرفة الاحداث والمفاهيم الكبري التي اثرت في فكر منشئيه، فالأدب مرآة تعكس حياة اصحاب هذا الادب ومشاعرهم وتوجهاتهم على حقيقتها، وما تأثروا به من عقائد واحداث ومفاهيم اثرت في تكون ارائهم المختلفة، ولم يخل ادب في حياة الامم، قديمها وحديثها، الا وكان لأدبها نصيب في هذا الخلاف في التوجهات نحو المستقبل خاصة وان العصر الحديث كان من ابرز معالم الخلاف فيه الحقيقة الالهية، خاصه بعد ان تنافست الفلسفات الغربية على نكران وجود الله بنظريات مختلفة وهي التي دخل من خلالها توفيق الحكيم صراعه الادبي.

والطريف في ادب توفيق الحكيم هو التقاء جدية العلم التاريخي وصرامة الفلسفة ووقارها مع عبثية الفن لتتشكل منهم جميعاً مشروع منحاه الحضاري، وكما جاء منذ اوائل نتاجاته الروائية والمسرحية، فكتبه وافكاره تحاور بعضها بعضاً، ليبرز لنا من خلالها موقع الله في نتاجاته الادبية. وفي اطار مناقشته لنظرية داروين التي كان من دعاتها كثير من الكتاب العرب، وعلى راسهم سلامة موسى، الذي كان معارضاً للحكيم في طروحاته النهضوية والتي ترفض مفاهيم الشرق واديانه.

راي الحكيم منذ بداياته ان الله، هو السبب الاول والنموذج الامثل لارتقاء الانسان والمجتمع، فالله لدى المفكر التعادلي توفيق الحكيم هو الذي ينشط الرقي (١) على المستويين الفردي والاجتماعي، وذلك ما رآه في نظرياته التعادلية، وما ضمنه في صوره الادبية منذ اول رواياته في اطار تطبيقه العملي لنظرياته الجمالية في غاية الفن والادب، والتي بقيت الخط الابرز في نتاجاته حتى آخر اعماله والتي كانت على شكل مقالات جمعت بعد وفاته في كتاب تحت عنوان "الوقت الضائع" .

ولا بد حين التصدي لموضوع الحضارات من تقييم معين لرصد سمات كل حضارة، وذلك كي يسعنا فهم مقصد الحكيم من تعبيراته عن الانسان الكامل والحضارات الكاملة والناقصة في رؤياته (٢) ، وكما جاءات ايضاً في التراث الصوفي الاسلامي مع عبد الله الجيلاني وابن عربي (٣)، فقد استمعملها الفلاسفة المسلمين كثيراً لما لهذه العبارة من مرتبة كونية في تصورات المسلمين الغابرة. وفي ادب توفيق الحكيم حديثاً، وقد برزت هذه القضية في ادبنا المعاصر كموضوع خلافي بين المجددين والسلفيين.

كانت البلاد العربية مسرحاً لصراع الفكر الاستعماري بين الفرنسيين والانكليز، وكان لهذا الصراع اثر كبير في تقوية التوجهات الغربية، واضعاف القيم المحلية، كما كان لضعف الدولة العثمانية اثر كبير في اغراء الدول الاوروبية للتدخل في شؤونها بحجة الامتيازات التي اتاحت لها ان تشمل برعايتها مواطني الدولة العثمانية الآيلة الى السقوط، وقد استغلت اوروبا التفرقة التي كانت تعامل بها الدولة العثمانية رعاياها في اوقات ضعفها من مسلمين ومسيحيين اسوأ استغلال (٤).

هكذا وجدت الدول الغربية في تلك المعاملة مبررات لبسط نفوذها، فادعت روسيا حماية الاورثوذكس، وفرنسا حماية الكاثوليك، وبريطانيا حماية اليهود والبروتستانت، (٥) تحت ضغط هذه الاجواء طرحت موضوعات الحداثة (٦) وانقسمت فيها الآراء بين المحافظة او التحديث او التوفيق بينهما، وهنا اطل التيار التغريبي، وعلى راسه سلامة موسى للتهجم على مقومات الشرق لكونه شديد الايمان بوجوب خروج مصر من آسيا وافريقيا، للإلتحاق باوروبا لشعوره بالانتماء اليها (٧).

في مرحلة التحولات هذه ترافقت قضية الالوهية والالحاد مع قضايا حقوق الانسان، وحقه في التعليم كحقه في الماء والهواء ، فكان لتربية المدارك الانسانية القسم الاوفر من اجتهادات الكتاب الذين قبلوا او رفضوا الفكر الديني، وهي القضية التي ميزت بها الاديان السماوية الانسان عن سائر المخلوقات ، خاصة في المسيحية والاسلام، لنجدها في المسيحية تحت مقولة – ليس بالخبز وحده يحيا الانسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله (٨). كما نجدها في فكر توفيق الحكيم، في مطالبته بالطعام لكل فم وفهم (٩) وقد استمد الحكيم مفهومه لانواع الغذاء على ما جاء في الفكر الصوفي الاسلامي وعلى احد اسماء الله الحسنى اي "المقيت"، والقوت في التراث الفلسفي الاسلامي. ولدى توفيق الحكيم يشمل الغذاء بنوعيه الغذاء المادي الذي تحتاجه المخلوقات جميعاً من انسان وحيوان ونبات وحتى الحشرات، والغذاء الروحي الخاص فقط بالانسان (١٠).

اعتبر الفكر الصوفي الاسلامي قديماً، وفكر توفيق الحكيم حديثاً ان الحياة الروحية لم يدخلها سوى الانسان ويفصل الحكيم ذلك قائلاً " ان الانسان مزود بآله مفكرة قابلة للنمو هي العقل، والة شاعره قابلة ايضاً للنمو هي الروح التي لم يلج بابها بعد سوى الانسان (١١).

فالايمان الديني هو الذي رفع الانسان فوق مرتبة الكائنات جميعاً في رأي الحكيم. فالذكاء ليس بالميزة التي اختص بها الانسان وحده ، والنظام الاداري المحكم والاقتصادي الكامل ليس وقفاً على المجتمع البشري، فمجتمع النمل لأدق نظاماً في الادارة واحكاماً في الاقتصاد، ولكن الذي يميز مجتمع البشر هو الايمان الديني فما من مجتمع غير المجتمع البشري اهتدى الى الايمان الديني (١٢)،ولنرى في المقابل سلامة موسى يناقض ويبخس بآراء توفيق الحكيم ليروج للنظريات الغربية الماركسية منها والداروينية التي وضع بها الكتب المتنوعة ، ثم ليؤكدها بنظرية نيتشه السوبرمان التي ترفض وجود الله، لتجعل من الانسان الاعلى اله هذا الكون وليضع نظرية اليوجينية التي تعمل على اصلاح الانسان وترقيته بيولوجياً ليصبح اله هذا الكون اي "السوبرمان".

وقد راى نيتشه ان على الانسان ان ينمي قواه ليصبح اله هذا الكون، بعد ان أمات الله (١٣) وهذا ما دعى اليه سلامة موسى.

كانت اوروبا في ظل المنهج التجريبي قد شهدت تغيرات جذرية عميقة في نظرة الانسان الى نفسه والى الكون حوله، من هنا قامت النظريات الغربية على مفاهيم عقلية جعلت من التجربة العلمية والمعرفة المحسوسة، ميداني المعرفة الوحيدين، وذلك نتيجة للمدرسة الوضعية التي لا تعترف سوى بالمادة المرئية وحدها (١٤) والتي تعتبر ان لا ثنائية بين عالمي العقل والروح، فعالم ما وراء الطبيعة ليس سوى الفاظ جوفاء ، لهذا اعتبرت المدرسة الوضعية المادة بديلاً عن الله، وهذا ما قال به ماركس وما دارت حوله نظريات داروين ونيتشه (١٥) وغيره من فلاسفة الغرب

رات الفلسفات الغربية ان كل شيء مردود الى المادة، وهو ما وصلت اليه العقلية التجريبية والمخبرية التي ادت الى ظهور الداروينية مع نظرية "النشوء والارتقاء" والتي ارجع بها اصل الانسان الى جدهم القرد، ليكمل نيتشه مسيرة الارتقاء بالانسان للوصول به الى الالوهية اي "السوبرمان" (١٦).

كان سلامة موسى شديد الايمان بوجوب خروج مصر من آسيا وافريقيا للإلتحاق باوروبا لشعوره بالانتماء اليها(١٧).

وفي ذلك يقول "والدعوة بأننا امة شرقية الدم او الثقافة او الحضارة هي دعوة زائفة لا اساس لها البتة(١٨). كما يقول "هذا مذهبي الذي اعمل له سراً وجهراً" ليكمل "انا كافر بالشرق مؤمن بالغرب، وفي كل ما اكتب احاول ان اغرس في ذهن القاريء النزعات التي اتسمت بها اوروبا في العصر الحديث، وان اجعل قرائي يولون وجوههم نحو الغرب ويتنصلون من الشرق، لأني اعتقد ان لا رجاء ولا نجاح لنا في العالم الا اذا تملصنا مما اكتسبناه من الشرق في نظام العائلة والحكم والنظر للمراة وللادب، وحتى في الصناعات والمعايش(١٩). كما نراه يقول "كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت امامي اغراضي في الادب كما ازاوله، وهي تتلخص في انه يجب علينا ان نخرج من آسيا وافريقيا، وان نلتحق باوروبا، فاني كلما زادت معرفتي باوروبا زاد حبي لها وتعلقي بها وزاد شعوري بانها مني واني منها"، لهذا يعلن موقفه مؤكداً بانه لم يزاول حرفة الادب الا" كي يعظ امته بوجوب كفها عن ممارسة العادات التي اكتسبتها من آسيا ووجوب اصطناعها عادات اوروبا(٢٠) وقد عبر عن ذلك بعدة روايات منها اصل الانسان التي يروي بها مراحل التحول البيولوجي للقرد الذي تحول الى انسان وفقاً لنظرية داروين، وعلى وادي الجهل التي تصور ابناء قرية يعيشون في وادي الجهل السعيد، وقد ارتفعت حولهم الهضاب والتلال التي يرتعون بها دائماً دون اية محاولة للخروج منها(٢١)، وفي هذه الكتب يصب سلامة موسى جام غضبه على اللغة العربية، تراثاً وتاريخاً وليؤكد قائلاً " اننا نطلق على انفسنا صفة الشرق بلا حق، لأننا غير شرقيين، ثم نتعصب لهذا الشرق، ونقيم في اذهاننا منه غرضاً نكره به الغربيين والحضارة الغربية ولهذا فهو يدعو للتنصل من الشرق للتوجه للغرب(٢٢).

بهذه المعايير تحركت اقلام كتاب عصر النهضة المعاصرة في الادب العربي، وكان اهمها بالطبع موجة الالحاد وقضية انكار الله، فكان هذا الانكار المفترق الرئيسي لانقسام الكتاب في توجهاتهم الادبية ورسالاتهم الفنية. ومن قضية الالوهية هذه دخل الحكيم معترك رسالته الفنية، فكانت له من القلب حصن الروح اول منطلقاته الادبية، واحد اسس فلسفته الروحية.

تجاوز الحكيم الاحادية للفلسفات الغربية التي تقوم على الدنيا وحدها، الى ثنائياته في الدنيا والآخرة وفي العقل والقلب والخالق والمخلوق وغيرها من الثنائيات التي تشكل في رؤياه الادبية والدينية ركائز التوازن للكمال الانساني، وكما جاءت في رواياته ومسرحياته ومذهبه التعادلي الاسلامي.

هكذا تضمن ادب الحكيم مقومات رؤياه الدينية في الدنيا والآخرة، حيث اقام ادبه على عقيدة البعث التي حملت هموم وقضايا الانسان العربي المعاصر في دنياه ومستقبل وجوده ولاعتقاده ان "سيطرة الغرب على الشرق لا تكتفي بالاخضاع الاقتصادي..." انها تشمل ايضاً الاخضاع الروحي، ولهذا نراه يقول عن خطط الغرب في هذا التوجه مؤكداً ان "بريطانيا في الشرق الاوسط والهند، وفرنسا في شمالي افريقيا..." عين الخطة والطريقة، وليس الباعث في كل الاحيان اصبع الاستعمار وحدها، ولكن وجود غالب ومغلوب يؤدي حتماً الى تغلب روح على روح، وفكرة على فكرة ليتلاشى المقهور في القاهر (٢٣) ليؤكد قائلاً: ان الواقع يقول لنا، اتبعوا الشمس حيث تسير، وافحصوا كل شبر من ارض يقع عليها شعاع – تجدوا راية غربية وفتوحاً حربية ومطامع استعمارية". كان يرى أن "طابع العرب الفكري وطريقة نظرنا الى الاشياء واحساسنا بالجمال الذهني ومشاعرنا تنم عن عقلية مستقلة لا ينبغي ان تتحلل او تتزايل تحت طغيان موجة اقوى، فاذا نادينا بالوحدة العربية، فإنما لندعم كتلة الروح الشرقي امام كتلة الروح الغربي" (٢٤).

لذلك كانت القضية عنده ان "نكون او لا نكون" (٢٥) . غير ان الذي يؤلمه هو اننا معشر الشرقيين يكبر علينا دائماً ان نرى الفضل يأتينا من شرقي، ولا نغضب، بل نفتخر ان يأتينا من غربي وفي ذلك يقول "لأرفع صوتي صائحاً: ان الشرق لن تقوم له قائمة اذا بقيت فيه ذرة من التنابذ والتحاسد، فاذا لم يسعفنا التعاون والتساند، فلنوقن بسقوطنا العاجل بين فكي الغرب النهم (٢٦).

يتشدد الحكيم في وجوب ابعاد القيم الروحية عن اي مساس او تشويه، لذلك يقول بشأن الروح والجوهر: "هنا نقول للغرب قف، حذار ان تمس هذا الجانب في الشرق، مهما يكن من امر اتهامه لنا بالرجعية، فنحن اقدم عهداً واكبر سناً..." (٢٧). أما عن اللعبة العقلية التي بدأتها اوروبا فقد كانت لدى الحكيم مصدراً للخوف على مصير الانسانية، لذلك فهو يعبرعن خشيته ان تكون اوروبا موشكة على دفع الانسانية الى هوة (٢٨) فكل شيء في هذه المدنية الحاضرة يتآمر على قتل الفضائل الانسانية العليا وصفاتها الآدمية السامية (٢٩). اذ لا شيء في اوروبا يبعث الامل، لذلك كان الانقاذ المرجو لديه من الشرق، منبع القيم الروحية والاديان (٣٠) الا ان القيم الروحية التي كان يتأمل بها لخلاص البشرية قد لوثها الغرب وفي ذلك يقول:" الغرب، كل منبع للسعادة يسممه الغرب حتى منبع الدين، وكل جار له يحطمه، حتى لو كان مصدراً للعلم والتفوق والنبوغ (٣١).

من هنا حمل ادب الحكيم الخلفية الحضارية والدينية لرؤاه الفلسفية، فجعل من القلب البارز دوماً نحو السماء في رواياته ومسرحياته حصناً للروح في حربها الضروس مع الزمن، وفي توالي الموت والحياة بالبعث الدائم وبالقلب المتجدد عبر الزمن، ففي رؤياه للزمن الذي استوحاه من التصور الاسلامي في مسرحية أهل الكهف تكمن عناصر الفناء والبناء، ولاعتقاده ان الانسان وعقائده واساطيره انما تولد من مظاهر الحياة حوله كما النيل المتدفق المتجدد (٣٢).

هكذا حمل القلب في ادب الحكيم اداة الكمال الانساني ومشروع النهوض الحضاري، لينسج من تلك الاداة بالاشتراك مع العقل ملامح ثقافتنا العصرية بعد ان تزود بكلا الزادين وهما:

- الثقافة العربية الاصلية بعد عصرنتها
- ثقافة العصر السائد بعد تليينها وتهذيبها وتطويعها ليخرج منها مزيجاً يمكن ان نطلق عليه بحق "الثقافة العربية المعاصرة"

فمنذ اشراقات الفكر الفلسفي عند بدايات الانسانية وتفتحها على عوالم الفلسفة، كانت ترى ان هذا الوجود تتجاذبه اطراف ثلاثة هي: الله – الانسان – العالم، وكان من هذا التجاذب ان تولدت المذاهب الفكرية في التاريخ الفلسفي قديمها وحديثها، وقد امكن حصرها بقطاعات عدة منها:

يفسر **القطاع الأول** الوجود تفسيراً احادياً، اي ان الله والانسان والعالم، واحد في جوهره، والذي يندرج تحت لوائه كثير من الفلاسفة أهمهم: سبينوزا وهيجل وبرغسون وسارتر في بعض مظاهر وجوديته وماركس الذي يرى ان ليس هناك وجود لغير المادة، فماركس يرد كل شيء الى المادة التي هي بذاتها او عنها نشأت كل الكائنات.

أما **القطاع الثاني**، عدل في قسمة الوجود بين هذه الاعمدة بجعل الله وحده – والانسان والعالم في مكان آخر، وقد تمثل هذا التفكير الثنائي في الفكر اليوناني بأرسطو، وفي الفكر الغربي بديكارت والقديس توما (٣٣) وفي الفكر الاسلامي بإبن رشد وغيره من الفلاسفة.

أما في الفكر الشرقي الحديث، فإننا نراها قد تسللت الى الاحساس الفني في الوعي الادبي لتوفيق الحكيم، الذي خلق فينا الوجدان وبث فيه روحاً لم تستطع اخماد شعلتها هجمات النقاد والحساد وكل الظلال القاتمة القائمة، والتي بقيت متوهجة من اول كتبه الى آخرها ومتضمنة بالاصطلاحات الادبية التي شكلت اسس رؤيته الفلسفية والدينية في الله والانسان والحيوان، والتي ترى – وما زلنا في الاحساس الفني، ان جوهر الاسلام هو العلاقة بين البشر والله، والدنيا والآخرة، لذلك لا يمكن ان يقوم لنا منهج فكر فلسفي الا على اساس العالمين معاً، عالم الدنيا وعالم الآخرة، وهي شرط الكمال الانساني والحضاري لديه (٣٤). لهذا نراه يشرح في عصفور من الشرق انواع العلوم ليقول ان العلم العلوي لم يوجد الا في الشرق مهبط الديانات، وليرى

ان اوروبا ما زالت طفلة تعبث تحت اقدام ذلك العلم الخفي الذي كانت حضارات افريقيا وآسيا قد وصلت به الى قمم المعرفة البشرية، والتي يدعوها بالحضارات الكاملة. لهذا راح يؤكد ان العقل، تلك الآلة المفكرة محدودة القدرات، لتصبح لغة الاوروبيين كلها لغة المحسوسات، وليرى في التوراة والانجيل والقرآن، حلماً من احلام الانسانية يفوق طاقة البشر استطاع بها الشرق ان يغمر البشرية يوماً (٣٥).

اما عن العلم التطبيقي عندما ترك في ايدي الاوروبيين فقد استحال في جسم البشرية قنابل وغازات خانقة وطوربيد وغواصات ودبابات الخ، فالعلم ، تلك الماسة العظيمة المتألقة، لم تضعها اوروبا في قمة عمامتها لتسطع نوراً وجمالاً، انما وضعته في سن مخرطة بخارية لتقطع بها زجاج ذلك الكاس العظيم، كاس البشرية الممتليء بماء روحها ومادة جسدها، اما العلم الصرف البعيد عن ضوضاء الآلة ومطامع اصحاب المنافع، فإن الشرق هو الذي عرفه لذاته، كمظهر من مظاهر العبقرية الادبية المفكرة في تعطشها لمعرفة الحقيقة العليا، وهنا نبل العلم وغايته، هذا العلم اورثته افريقيا وآسيا الى اوروبا، فاحتفظت ببعضه حلياً لبهرجها، وهنا كل جمال اوروبا الفكري، اما بقية الكنوز فصهرتها وصبتها نقوداً تضعها في المصارف، وصنعت منه اغلالاً تستعبد العالم(٣٦).

اما عن سر عظمة الحضارات القديمة في رأيه فهي انها جعلت الناس يعيشون في عالمين لاحتوائها على العلم الخفي والعلم التطبيقي، فالحضارات التي تشيد الاهرام، لا يمكن في رأيه ان تجهل العلم التطبيقي، ومع ذلك فإن العلم لم يفسد من الرؤوس زجاجات الصور التي تمثل الحياة الاخرى (37). وتلك هي التي يدعوها "بالحضارات الكاملة"، اما المدنية الحديثة فإنها لا تدرك ولا تعترف الا بما يقع تحت لمسها وبصرها ومنطق عقلها، ولا تقوم الا على عالم المحسوس، لذلك نراه يصر على ان هذه الكبيرة ما هي الا مدنية ناقصة لانها لا تعرف الحياة الا في عالم واحد، هو العالم الأرضي فكل شيء في المدنية الحاضرة في رأيه يتآمر على قتل الفضائل الانسانية العليا وصفاتها الآدمية السامية، لذلك نراه في عصفور من الشرق يعبر عن خشيته ان تكون اوروبا موشكة الى دفع الانسانية الى هوة، بعد ان سممت المنابع كلها، حتى منبع الأديان الآدمية (٣٨).

كانت اول مآخذ الحكيم على المدنية الحديثة علمها العقلي المحض وحلمها بالخروج من الجاذبية الارضية ليعترض على ذلك الحلم، بحلم آخر اعظم واجدى للإنسان المعاصر، اي باختراع يخرجنا من جاذبية الارض والدم والجنس لنلحق بالانسانية العليا التي يتصورها الفكر الحر ويحسها الروح الطليق (٣٩).

راي الحكيم ان الخط البارز للعصر الحاضر هو الاقتصاد، اي الشطر غير الروحي للكائن البشري، وهذه الحضارة ما كانت تنتهي الى هذه النهاية غير الانسانية، ما دامت تؤدى على هذه الصورة المخيفة الى سيادة الآلة على الحياة والى طغيان الارقام، هكذا جعل من سليمان الحكيم في مسرحيته يجاهد ضد القدرة التي كادت تخرس الحكمة، وكذلك في مسرحية شهرزاد التي كانت صدى لموجة الالحاد في اوروبا.

كانت اهم المعالم المستنكرة لديه في الحضارة الغربية اخضاع الحياة كلها لمقاصدها المادية على النحو الذي يجعل الخط البارز والمظهر الغالب لتلك الحضارة هو الاقتصاد، اي مطالب الارض والدم والجنس والبيئة. لهذا اتسع مفهوم التوازن على الصراط المستقيم للإنسان الكامل لتتشكل منه رؤياه بخصائص الشعوب، وذلك لأن المخلوق الآدمي، كما صوره ادب الحكيم تتركز فيه قوى روحية سماوية وقوى ارضية، ويمشي بمهارة على حبل مشدود عن يمينه العقل والفكر والضمير، وكل ما دخل في نطاق العالم الروحي، وعن يساره الجسد والغريزة والدم، وكل ما دخل في نطاق العالم الحيواني (٤٠)، والتوازن هو المطلوب، وهو امر عسير المنال في الحضارة المعاصرة، لهذا كان الفرق لديه بين عبقرية الشرق الروحية وعبقرية الغرب

الروحية هي كالفرق بين المشعوذ والمسيح (٤١)، كما كان الفرق لديه في خصائص الشعوب اذ نراه يؤكد "قلت واقول الجوهر باقٍ دائماً، – اين اذن قانون الوراثة الذي يصدق حتى على الجماد (٤٢)، وفي هذا يقول:

"لا تنكري ان المعجزة تتخذ لون الارض التي تظهر عليها، وان العظيم يتغذى ككل نبات بعناصر التربة التي ينبت فيها... ولا تحسبي ان عبقرية المانيا واوروبا تصلح لإبراز نبي من انبياء الشرق، (٤٣).

"فالغرب يكتشف الارض والشرق يكتشف السماء " (٤٣).

من هنا جاء تصويره للحضارة الغربية في ادبه على شكل طائر جبار يحلق بجناح مادي واحد بعد ان انكسر جناحه الروحي الا وهو الدين. فمن مميزات الدين لديه انه الصوت الداخلي الذي يحكم سلوك الافراد والجماعات، اذ ان القانون الوضعي يحكم سلوك الناس الخارجي، وليس له سلطة او مقدرة النفاذ الى داخل النفس البشرية، لذلك تكمن كثير من الخطايا داخل الانسان وتنمو وتتراكم كالجراثيم والفيروسات غير المرئية، دون ان تصل اليها سلطة القانون، اما الدين، فهو المضاد الحيوي وهو الاشعة الروحية التي تستطيع النفاذ الى داخل النفس وقتل هذه الفيروسات في مكامنها.

من هنا كان راي الحكيم ان الحضارة المعاصرة لم تستطع ان تحقق حياة الانسان الكاملة(٤٤)، فهي على الرغم من تالق العقل البشري على نحو لم يسبق له نظير، تعاني من النقص المترتب عن تفرد العقل، وهذا ما ادى في رأيه الى القلق، فهو نتيجة لاختلال التعادل بين العقل والقلب، اي بين الفكر والايمان. (٤٥)

لم تكن القيم الدينية والروحية ترفاً عقلياً لديه، انما كانت ضرورة بشرية، فبدون الاخلاق يستحيل الانسان الى حيوان، فالفرق بين الانسان والحيوان، هو الكم المضاف اليه من القيم، وليس فقط من معلومات، وانما ايضاً من مقدرة على ترتيب هذه القيم بحيث يستطيع الفرد بعد ذلك ان يعتنق نهجاً او فلسفة يزاول بها حياته، فالانسان دوناً عن الحيوان مزود بعقل لا بد ان يعمل، واذا لم يعمل في اتجاه صالح لا بد ان يعمل باتجاه خاطيء واحياناً اجرامي.

من هنا تحرك ادب الحكيم في صورته للإنسان الكامل، بالنمو المتوازي للآلة المفكرة اي العقل، مع الآلة الشاعره اي القلب، فالانسان الاعلى لديه ليس ذلك الذي يضع كل شيء في فمه، ولكنه ذلك الذي يشعر بحاجته الى قيم معنوية وأغذية روحية واطعمة ذهنية، لا علاقة لها عن قرب او بعد بضرورات حياته الجثمانية (٤٦) أي الجسد بعد مفارقته الروح.

وكانت قد سادت في عهده مقولة طه حسين حق التعليم (٤٧) كالماء والهواء، ليطالب اثرها في مسرحية الطعام لكل فم بالطعام لكل فهم، اي لكل حاسة من الحواس الخمس اذ ان المخلوقات جميعاً يتساوون باحتياجهم لهذا النوع من الغذاء، اما الانسان فهو المخلوق الوحيد الذي يحتاج الغذاء الروحي، والدين الحق لا يتعارض مع العلم الحق، بل ان الدين والعلم والفن خيوط ثلاثة كتب على بشريتنا القاصره العمياء التمسك بها لتهتدي الى ذلك النور العلوي الذي لا بداية له ولانهاية – الى الله– (٤٨).

من هنا اقام الحكيم رؤياه الفلسفية على ما جاء في الميزان الفلسفي الاسلامي، وهي ان الانسان الذي يتصف بالحيوانية من الجنس البشري، هو مخلوق جمع جميع حقائق العالم الارضي، فالانسان كالحيوان، يرزق الى جانب الغذاء المادي، بغذاء نوراني لا يناله الا الانسان(٤٩)، وقد تحركت الصور الفنية في رواية عصفور من الشرق لتخدم تلك المعاني اذ نراه يقول:

"الواقع والطريق العملية والمباشرة تلك هي بالضبط كل عالم الحيوان" (٥٠).

ابرز الحكيم معتقداته القائلة بان النظريات القائمة اليوم ولدت بمذاهبها المختلفة في مجتمع آخر جعله يبلور تفكيره على نحو معين ثم جاءت الى بلادنا كالملابس الجاهزة وفي ذلك يقول: "نعم – اليوم لا يوجد شرق... انما هي غابة على اشجارها قردة تلبس زي الغرب، على غير نظام ولا ترتيب ولا فهم ولا ادراك (٥١).

وعن تاليف وانشاء ادب روائي يقول انه عمل لا يقوم به سوى صاحبه وابن بلده، لهذا انشأ الادب الذي يرصد قضايا شعبه، فكل جيل مسؤول عن جيله، وعن تمهيد الارض لمن سيأتي بعده ، خاصة وان الرواية لم تكن قد استقرت الى قالب فني، فلا يجوز ترك ذلك للمستقبل، لأن مستقبل الرواية لن ياتي الا على اساس الحاضر، لذلك كانت عودة الروح اولى رواياته واول حلقة في سلسلة النمو الطبيعي للرواية، وفي فترة زمنية كان الادب العربي في اشد الحاجة الى قالب روائي، لذلك اراد من عودة الروح ان تكون سجلاً لتاريخ وسط مرحلة خطيرة لبلاده، فكانت عودة الروح وكما يقول:"عمل شخصي فهي انفعالاتي انا التي لا يحسها احد غيري"(٥٢). ولهذا كان بطل روايتي عودة الروح وعصفور من الشرق واحد هو محسن.

هكذا جعل من عقيدة البعث الدينية الركيزة الاساسية التي اقام على اساسها بنيانه الادبي، فعقيدة البعث بوجهيها الدنيوي والديني، هي التي شكلت اللبنة الرئيسية في ادبه وهي حقيقة ايمانية لا تحتمل الرفض او المناقشة لديه، وهي الحديقة التي انبتت زهرات فكره على مدى حياته، فعقيدة البعث تجعل الانسان مخلوقاً مكلفاً امام الله يوم القيامة، وهو وحده خليفة الله على الارض.

اعتقد الحكيم ان سر عظمة الحضارات القديمة انها جعلت الناس يعيشون في عالمين وليس في عالم واحد اما العالم الذي نعيش فيه، فهو عصر الصراع لا بين القوى المادية وحدها، بل بين القوى الفكرية ايضاً، فهذه التيارات التي تحيط بنا لتدفعنا الى التفكير في وجوب ما نأخذ وما ندع من حضارة الغربيين والتي يدعوها حضارة محاكم التفتيش (٥٣)، لذلك نراه يقول وبالحرف "نأخذ ما في رؤوسهم، وندع ما في نفوسهم، احساسنا ملكنا واحساسهم ملكهم، ولن تقوم للشرق نهضة حقيقية الا اذا احاط بكل معارف الارض، ثم صهرها في قلبه واخرجها مرة اخرى للناس معدناً نفيساً يشع اضواء جديدة (٥٤).

كان الادب الصهيوني قد حفل باعتبار الاسرائيلي هو "السوبرمان" او الانسان الاعلى الذي نادى به نيتشه، فانسانية اليهود افضل من انسانية اي جنس آخر، ومن حقه ان يحققها عن طريق الاعتداء على الاجناس الاخرى وانتهاك انسانيتها انسجاماً مع معتقداتهم التي لخصها التلمود ونادى بها حكماء بني صهيون في بروتوكولهم.

وقد جسدت مفاهيم التفوق العرقي مباديء اليهود الاخلاقية التي عكسها الادب الصهيوني، فاسرائيل هي النموذج الارقى وهو ما بلوره ادب كل من عجنون وهيرتزل، والتي قامت على انهم شعب الله المختار، وهذا ما بلوره ادبهم، وقد ذهب هيرتزل الى الادعاء بان الارض المغتصبة فلسطين كانت صحراء لا زرع فيها، الى ان زرعها اليهود الذين اتوا بالنخيل ليغطو به هذه الصحراء (٥٥) وهذا ما ناقضه الحكيم في روايته عصفور من الشرق التي يصف فيها ارض فلسطين "بجبل الزيتون" (٥٦)، كما ناقضها في مفهومه للنموذج الارقى ومفهوم الرقي كما جاء في تعادليته الاسلامية. كان جوهر التعادلية لديه لا يعني التساوي او الاعتدال في الامور بل يعني التقابل او القوة المعادلة، ومعناها ايضاً القوة المناهضة، واذا لم يفهم معنى الكلمة على هذا الوضع، فإن التعادلية تفقد حقيقة معناها ومرماها فالتعادلية هي الحركة المناهضة لحركة اخرى، وتقوم معادلاته التعادلية على الثنائيات التالية:

- الواحد الصحيح في التعادلية يساوي صفر، والحياة الايجابية تبدأ من العدد اثنين – اذ بوجود شيئين توجد العلاقة بينهما اي الحركة
- كل حركة يجب ان تقابلها وتناهضها حركة
- كل قوة يجب ان تعادلها وتقابلها قوة

والحياة الحقيقية لا تبدأ الا من العدد اثنين، ولكي يظل العدد اثنين موجوداً يجب ان يحافظ كل واحد على قوته الخاصة، فاذا تضخم واحد على حساب الآخر، او ابتلعت قوة احدهما قوة الآخر، رجح العدد اثنين الى واحد صحيح اي الوجود السلبي.

كل قوة تتضخم تريد ابتلاع غيرها ، ففي المجال السياسي والاجتماعي ، الراسمالية ارادت ابتلاع العمل، الاستعمار يريد ابتلاع الشعوب – والغرب يريد ابتلاع الشرق، والتعادلية هي فلسفة القوة المقابلة والحركة المقاومة للإبتلاعية (٥٧).

من هنا كان صراع الحكيم، بنتاجاته المتنوعة على جبهة المحلي الموروث وعلى القوالب الاوروبية واليونانية، والتي توزعت على مسرحياته ورواياته التي طبق فيها رؤياه الجمالية في غاية الفن والادب لمذهبه التعادلي، فهو لم يكن ضد اي منهما، فالموروث كالعصري كلاهما يمثل له انجازات بشرية ومكاسب انسانية يجب الانتقاء منها، لا اخذها بخيرها وشرها، وهو ما عالجه في مسرحية اهل الكهف.

لقد جعل الحكيم من الزمن والبعث اساساً للتراجيديا العربية اعتقاداً منه ان سر التراجيديا هي صراع الانسان ضد قوى اخرى اكبر منه. هكذا كان الصراع عند الاغريق بين الانسان والهته، وعند الاوروبيين ومن خلال اعمال كورني وراسين بين الانسان وعاطفته، اما الحكيم فقد وجد ان الصراع في التراجيديا العربية والمصرية، يجب ان يقوم بين الانسان وزمنه (٥٨) فالصراع بين الانسان والزمن ، وما ادى اليه فكرة البعث واللجوء الى التسلح المادي بالتحنيط والتشييد عند المصريين القدماء، ثم الايمان الروحي بجنة الخلد في المسيحية والاسلام، هذا الصراع بين الانسان والزمن – اي عوامل الفناء التي تهدد كيانه وتحطم بنيانه وتحلل شخصيته هو ما جعله اساساً في اقامة التراجيديا وفي ذلك يقول: " ان عقيدة البعث من افكار مصر الثابتة، ولم تكن مصر تقبل المسيحية والاسلام، لو لم تجد في هذين الدينين فكرة البعث في جوهرها ولبها، وقد رفضت مصر دين اسرائيل لخلوه من تلك الفكرة التي لا تعيش مصر بغيرها، فالبعث هو نشيد مصر الخالد يغنيه النيل والشجر والبشر والنبات والطيور والماء والسماء (٥٩). لذلك كانت فكرة البعث تصلح وحياً للأدب العربي الحديث، فهي المعيار امام الله يوم الحساب في خيارات الخير والشر.

لذلك كان التشابك في قضاياه الادبية كبيراً مع قناعاته الفكرية وصوره الادبية مهما اختلفت اساليبه، اذ يبلغ التداخل بين الفن الادبي والفكر الفلسفي والاحداث التاريخية حداً كبيراً من التشابك والتعقيد، واهمية عودة الروح وعصفور الشرق تتجاوز حد الفن الادبي والفكر الفلسفي، تتجاوزهما لتغدوان نقاشاً عاصفاً لمواصفات وجذور حضارتين، مع ابراز من الكاتب لخصائص شعوب كل منهما، والتي تندرج في الحضارة الغربية تحت لواء العنصرية والتنابذ العقائدي والطبقي، والتي تجاوزت عنصريتها الارض الى السماء لتقول بشعب الله المختار وارض الميعاد : **وفي ذلك يقول " **لا تنسى ان اوروبا هي الوحيدة التي اعدمت في يوم علماءها حرقاً، واتهمتهم بالسحر والجنون وخنقت حرية الراي حتى في شؤون الادب والفن، وجعلت من المسيحية التي تبشر بالمحبة والسلام، سلاحاً للفتك امام محاكم التفتيش ولكن اوروبا اليوم ابرع قليلاً عن ذي قبل فهي تجيد اخفاء حيوانيتها، تحت ريش صناعي، يمثل اجنحة ملاك سماوي**". (٥٩)

ويستكمل مقارناته مع الحضارة الغربية ليبرز حسنات وخصائص حضارة آفلة مدفونة في الرمال وكتب التراث، يحاول ان يزيل عنها ما فوقها من تراب وصدأ، ليبرز بريقها الأخاذ، في محاولة فاشلة للكشف عن معدنها الاصيل.

وهو في رفع الغطاء عن ماهية كل من الحضارتين، يجعل المفاضلة بينهما عملية تنحو الى اختيار حضارة الاصالة القديمة في جوهر التاريخ الانساني. وهي الحضارة العربية الاسلامية التي ارتبط بها اكتمال النموذج الحضاري الامثل في رأيه، والقائمة على الارتقاء بالانسان بكامل عناصره، اي العقل والقلب، والتي منها تتولد الحضارات الكاملة برأيه والتي كانت في الحضارة العربية الاسلامية القديمة، التي تميزت بالملاحظة والتجريب، وبنموذج من العقلانية وازنت بين الروح والجسد والدنيا والآخرة، والعقل والقلب ولظنه ان الاعتداد بالشخصية التاريخية للأمة هي اول عوامل مقاومة عوارض الانحلال والتبعية والابتلاعية.

لذلك فان عودة الروح وعصفور من الشرق اكثر من مجرد روايتين، انهما فكره ودعوة وقضية، قضية الانسان العربي المعاصر في جوهر قضاياه ودعواته وافكاره وطموحاته. في حياته ودينه وثقافته وعلمه وفلسفته ومعاناته، واذا كان قدر الانسان ان يتقدم في معرفته ومجابهته من جيل لآخر ومن انسان لآخر فاننا نرى في الروايتين من القضايا التي تعكس الالحاح الاكبر على ساحة الواقع العربي الممزق، وتمس وجودنا في الصميم، فهما يضربان عمقاً لا في جذور حياتنا فقط، بل في مظاهرها ايضاً وليس في المطلق فحسب بل وبالمعنى العملي والمباشر ، ويعكسان شجاعة الرؤية المتبصرة والملتزمة بابراز ماهية حضارتين مختلفتين واحدة مدفونة في الرمال وكتب التراث، واخرى تلتمع في سماء الواقع تجرف في تيارها قيم الشرق الاخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية.

لهذا راح الحكيم في نتاجاته الادبية يسهر على مضاجع قومه، يهزها بدعاء الفجر، يخايلهم برؤى مثيرة عن ماض لنا كان مجيداً قبل ان تطويه المحن، في اعتزاز تغلب فيه روح الثقة بمقومات العرب الحضارية القابلة في كل حين لتكوين حضارة كاملة وحقيقية، ذلك لأن لكل حضارة شرعة تجسد قيمها الاخلاقية الموروثة والخاصة بها لأنها صادرة عن روحها، اذ ليست هناك اخلاق انسانية عامة، وانما لكل حضارة طرازها الاخلاقي، كما لها طرازها في الفن وهذه الاخلاق الصادرة عنها صادقة دائماً داخل اطار هذه الحضارة، ولكل حضارة فلسفة خاصة بها وحدها، وتكون جزءاً من تعابيرها الاخلاقية، وتمثل في فرضياتها الفلسفية ومعالجتها للمشاكل والحلول ومناهج التفكير تزييناً روحياً خاصاً بروح معينة، لهذا فالمهم في تاريخ الفلسفة ليس معرفة ما وصل اليه المفكرون داخل مدارسهم من حقائق، بل المهم ان نعرف طريقة وضعهم للمشاكل وكيفية اختيارهم لحلها، وذلك لأن الفلسفة نابعة من اخلاق معينة في كل حضارة، والفرضية الفلسفية لا صدق فيها ولا كذب فليس من الممكن اصدار هذا النوع من الحكم في النظرية الفلسفية ، فلا صدق فيها ولا كذب، يمكننا الحديث فقط ببساطة النظرية ووضوحها، ويختلف مدى الاقتناع من فرد لآخر، باختلاف التركيب الانفعالي لكل فرد ونوع النظرية التي تقدم له السكينة الذهنية والطمأنينة العقلية.

هكذا راح الحكيم يحذر ابناء الشرق من الاطمئنان للحضارة الغربية الوافدة، فهي لا يمكن ان تكون من اسباب التقدم بل هي تحمل في طياتها انهياراً لقيم عزيزة كانت فينا، وكان يمكن ان تعطينا من المنعة والقوة ما يبقي على جوهر الحضارة الغاربة، كي يعي ابن الحضارة الآفلة كنه نفسه، فلا يذوب جوهره الاصيل في آتون الحضارة الغربية، وليحض على الابقاء على ما هو ثابت في تراثنا وجدير لاقامة اسس بناء حضارة ناهضة، فنأخذ ما يصلح للفضائل من تراثنا، دون ان نتحجر بالرجعية الكافرة في التقدم وفي ذلك يقول: "انه يجب ان نأخذ ما في رؤوسهم وان ندع ما في الادب في نفوسهم"(٦٠) وليحض على الابقاء على ما هو ثابت وصالح لاقامة انطلاقة حضارية وقد وعينا المنهج السماوي للمعرفة قيماً رفيعة قررت كرامة الانسان واعلت شرف العلم، واعزت آدمية الفرد وحفظت حياته وحقوقه، لا صراعات دموية كما ارستها وامتدت بها الحضارة الغربية اي حضارة محاكم التفتيش.

فمع بداية عصر النهضة، وبداية انهيار عهود، ومع مظاهر التحولات كان هناك مجموعة من البدائل والتوجهات في رسم طريق الانطلاقة نحو المستقبل، والتحول الحاصل هو اكثر من قضية عابرة، انه مصير امة، غير انه يحصل تحت الحاح وظروف عامل خارجي ملح وحاسم، لما في تلك التحولات من خطورة في انتقاء الخيارات المطروحة على مستوى من التحدي الذي لا يجري على مسرح انساني عادي ولا على ثقافات عادية، انه تحد يشمل اشد انواع الثقافات تماسكاً ومنطقاً وسؤددا وقوة، فهو تحد شامل لثقافات عصر برمته بين حضارة آفلة قامت يوماً على نبل تعاليم الاديان السماوية من جهة، وحضارة سائدة قائمة على محاكم التفتيش من جهة اخرى، ولينافش الصفات الثابتة في انسان كل منهما، معدنه، وجوهره الاصيل الثابت

بمجموعة الفضائل والرذائل في انسان كل منهما، تنبيهاً وتحذيراً من الانقياد الاعمى للحضارة الغربية حيث الشر اعصار لا يقاوم، وكيف يقاوم وفي وعينا قصور، وفي ايماننا ثغرات، وشرور العالم انما تلي قصور معرفتنا وانتقاءاتنا الخاطئة، وتحول الغربي عن ما رهن اليه نفسه في نفسه حيث الغاية تبرر الوسيلة مستحيل استحالة ان يخرج حيوان الى الغابة ليحلم بضوء القمر بدل ان يطارد الفريسة. (٦١).

وهو إذ يشين على الغرب بتلك الصورة المركبة ماديته واسلوبه الواقعي والمباشر، فهو في التعادلية يرى ان تلك الحضارة تطرح القوى الروحية او الدين ولا تستبقي غير القوى العقلية تستمد منها وحدها كل عناصر نشاطها، من ذلك وجودية سارتر والواقعية الاشتراكية وغيرها من المذاهب التي يصفونها بالمادية، ويدعوها الحكيم الدنيوية لأنها تقصر قوى الفكر فيها على العقل وحده وتعيش في العالم الارضي وحده يقابلها بالتعادلية التي تطلق الفكر على قوتينن العقل والقلب اي المنطق والايمان باعتبارهما منبعين للمعرفة البشرية، لأن الحيوان لا يملك غير منبع واحد للمعرفة هو الغريزة، والحيوان لا يؤمن لانه لا يدرك "الارقى" اي الله، فالانسان هو الذي يدرك الارقى، ويتوسل الى هذا الادراك بوسيلتين، المنطق المنبعث من العقل عكازه الدليل البين، والايمان المنبعث من القلب عكازه الشعور الخفي ، والحيوان حتى في اعلى مراتبه لا يدرك فكرة الارقى، انه يدرك الاقوى، فالعالم بالنسبة اليه اما مخلوقات ضعيفة يتغلب عليها، اما مماثلة له في القوة يتجنبها، والقوة عنده بدنية بحته، اما الانسان فيستطيع بعقله وقلبه معاً ان يدرك الارقى، اي الأقوى ذهناً وروحاً (٦٢).

رأى الحكيم في الدين آدمية الانسان، فإذا خلعه الانسان فهذا يعني انه خلع رداءه البشري وانقلب دابة تسعى الى رزقها في الارض ولا تقوى على التطلع للسماء، فالدين هو الذي يرفع بصر الانسان الى اعلى من اقدامه وطعامه وشرابه واذا استطاع الانسان ان يرفع بصره الى اعلى من فمه فهو ارقى من الحيوان، واذا ارتفع الى حيث يدرك وجود الله عندها يصبح سيد الكائنات، فكل شيء قد يعرفه الحيوان الا الدين، ولوعرفت جماعة من الحيوان معنى الدين لأصبحت في الحال بشراً ساجدين فما من شيء يفخر به الآدمي، الا انه يسجد من اجل معنى مقدس، ويعرف قلبه ما هو الايمان فبأشعة العقل ومنطقه، وحرارة القلب وايمانه، يستطيع الانسان ان يحيا حياته الكاملة وان يبني الحضارات الكاملة (٦٣).

وكان لاختلال التوازن نتيجته الطبيعية التي لا بد ان تلازم كل اختلال في التوازن، وهو القلق السائد في النفوس اليوم، فالانسان يخشى دماره بيده هو نفسه، وهذا السبب هو في الوقت عينه نتيجة انتصاراته العلمية، فهو قد اصبح قادراً قدره مادية ساحقة، يمكنها في اي وقت ان تفلت من يده، واذا فلتت هذه القدرة او القوة، فقد هلك، وهذه القدرة لا يلجمها الا حكمته، وهو لا يضمن كثيراً هذه الحكمة، من هنا جاء قلقه على سلامته وكيانه وذلك لأن ازمة الانسان الحديث كما صورها في مسرحية سليمان الحكيم انه يتقدم في وسائل قدرته اسرع من تقدمه بوسائل حكمته ، وان المخالب في الانسان الاول قد تطورت من اسلحة حجرية، الى سيف، ثم الى قنبلة ذرية، ولكن وسائل تحكمه في غرائزه لم تتطور الى حد يمكنها في كل الاحيان من كبح جماح القدرة المطلقة، لذلك لا بد من وقوع كارثة او حدوث اخفاق، حتى يفطن العالم الى ضرورة الحكمة، ولكن المشكلة هي انه قلما يفطن وان فطن فقلما يستطيع الوقوف في الوقت المناسب، لهذا فقد رأى في صورة الانسان المعاصر ما يدعو للعجب، فالصورة الحقيقية لإنسان القرن العشرين هي صورة لمخلوق له ذكاء العالم وضمير القرصان، وغريزة الحيوان (٦٥)، ومن هنا جاءت دعواته للحفاظ على ما يدعوه بالروح والجوهر في حضارتنا القديمة، والتي كانت في الشرق مهبط الاديان المساوية، وكما كانت هذه الاديان قديماً في الشرق، لا كما هي حالياً في ظل الحضارة الغربية السائدة.

وفي ذلك نراه يقول: "انذار بالويل فقد طغت شهوة الاستعباد في امم تسمى نفسها راقية، فنبذت تعاليم اولئك الذين يوم عرفوا انفسهم كشفوا للإنسانية عما بها من جمال وصفاء، وسلمت نفسها لأولئك الذين جهلوا انهم جهلاء فايقظوا فيها غرائز الجشع

والظلم والدماء" (٦٦) ** توافقت الدول التي تعترف والتي تنكر وجود الله على الوعد الالهي لليهود باقامة دولتهم على ارض فلسطين في الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٤٧.

الفهـــــارس

الرقم	المؤلف	المرجع
١	توفيق الحكيم	التعادلية مع الاسلام والتعادلية – ص ١٦٤– ١٦٨ المختار في تفسير القرطبي – المقدمة – الهيئة العامة للكتاب ٩٧٧
٢	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق – ص ١٨٨–١٩٠–١٠٣–٢٧٩ عودة الروح – ج٢ – ص ٥٥–٦٢
٣	سهيلة الترجمان د. سعاد الحكيم	مشكلة العلم الالهي في الفكر الاسلامي ص ٢٠٩ الحكمة في حدود الكلمة – ص ١٩٠ – بحث في مفردات ابن عربي رسالة دكتوراه
٤	قسطنطين بتسكوفيتش	لبنان واللبنانيون – ص ١٧ – ١٨ دار الهدف للطباعة والنشر ١٩٨٦
٥	د. زاهية قدورة	تاريخ العرب الحديث – ص ٣٦٥ ط ٢ – ١٩٧١ دار النهضة العربية
٦	د. موسى سليمان	الحركة العربية – ص ٢٠–٢١ منشورات في دار النهار ١٩٦٥
٧	سلامة موسى	حرية الفكر وابطالها في التاريخ – ص ٤–٥ دار العلم للملايين
٨	انجيل متى	١١– ٤ : ١
٩	توفيق الحكيم	مسرحية الطعام لكل فم – ص ٤٦
١٠	د. سعاد الحكيم بشارة صارجي	الموسوعة الفلسفية – معهد الانماء العربي ط ١ – ١٩٦٨ مقالة تحت عنوان – اصطلاح ومفاهيم – ص ١٣٤–١٣٧ الموسوعة الفلسفية – م١ – ط ١–ص ١٤٢ معهد الانماء العربي
١١	توفيق الحكيم	تحت شمس الفكر – ص ٥١–٧٨–٩٢
١٢	توفيق الحكيم	تحت شمس الفكر – ص ٥١
١٣	نيتشه	وضع كتاباً تحت هذا العنوان
١٤	كارل ماركس	Fridikengles etude philomorphiques – p 749 – Edition social boulevard blanqui– Paris x 111– e 1951
١٥	سلامة موسى	اليوم والغد – مقدمة السوبرمان
١٦	سلامة موسى	حرية الفكر وابطالها في التاريخ – ص ٥– ط٤ ١٩٦٧ – دار العلم للملايين اليوم والغد– ص ٩
١٧	سلامة موسى	اليوم والغد – ص ٢٣٦–٢٤٩
١٨	سلامة موسى	حرية الفكر وابطالها في التاريخ – ص ٦٨

١٩	توفيق الحكيم	تحت شمس الفكر– ص ١١١
٢٠	سلامة موسى	حرية الفكر وابطالها في التاريخ – ص ٥ – ط ٤ – ١٩٦٧
٢١	توفيق الحكيم	اليوم والغد – ص ٩
٢٢	توفيق الحكيم	فن الادب – ص ١٢٤
٢٣	توفيق الحكيم	فن الادب ص ١١٦
٢٤	توفيق الحكيم	تحت شمس الفكر – ص ١١١
٢٥	توفيق الحكيم	ادب الحياة – ص ٤٤
٢٦	توفيق الحكيم	من البرج العاجي – ص ١٩٧
٢٧	توفيق الحكيم	فن الادب – ص ١٢١
الرقم	**المؤلف**	**المرجع**
٢٨	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق – ص ١٧٣
٢٩	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق – ص ١٨٠
٣٠	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق – ص ١٨٧
٣١	توفيق الحكيم	من الادب – ص ١١٧
٣٢	توفيق الحكيم	تحت شمس الفكر ص – ١٠١ – ١٠٥
٣٣	سعاد الحكيم	موسوعة العلوم الفلسفية – م ٢ – ١٩٨٨ – ص ١٥١٧ – معهد الانماء العربي
٣٤	توفيق الحكيم	في الوقت الضائع – ص ١٤
	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق – ص ١٧٣ – ١٨٠ – ١٨٨ – ١٩٠
	توفيق الحكيم	التعادلية مع الاسلام والتعادلية – ص ١٧٢
٣٥	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق – ص ١٨٠–١٩٠
٣٦	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق – ص ١٧٠ – ١٧٤
٣٧	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق – ص ١٧٩ – ١٨٠
٣٨	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق – ص ١٨٤ – ١٨٥
٣٩	توفيق الحكيم	سلطان الظلام – ص ٢٤
٤٠	توفيق الحكيم	عودة الروح – ص ٥٥ – ٦٢
٤١	توفيق الحكيم	عودة الروح ص – ٣٨
٤٢	توفيق الحكيم	حماري قال لي – ص ٣٨
٤٣	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق – ص ١٠٣
٤٤	توفيق الحكيم	سلطان الظلام – ص ١٦ – ١٧
٤٥	توفيق الحكيم	التعادلية مع الاسلام والتعادلية – ص ١٦٤
٤٦	توفيق الحكيم	تحت شمس الفكر – ص ٨٦ = ٨٧

٤٧	توفيق الحكيم	التعادلية مع الاسلام والتعادلية – ص ٢١٦
٤٨	توفيق الحكيم	تحت شمس الفكر – ص ٢٩
٤٩	د. سعاد الحكيم	الموسوعة الفلسفية – معهد الانماء العربي – ط ١ – م ١ – ١٩٨٦ – مقالة تحت عنوان اضطلاع ومفاهيم
	د. سعاد الحكيم	عودة الواصل – ص ١٤٢ – ١٤٣ – مؤسسة دندارة للدراسات – ط١ – ١٩٩٤
	د بشارة صارحي	موسوعة العلوم الفلسفية – ص ١٤٢ – ط ١ – م ١ – ١٩٨٦
	توفيق الحكيم	التعادلية مع الاسلام والتعادلية – ص ٦٨
٥٠	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق – ص ١٠٣
٥١	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق – ص ١٩٤
٥٢	توفيق الحكيم	سجن العمر – ص ١٦٤
٥٣	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق – ص ١٨٠
٥٤	توفيق الحكيم	فن الادب – ص ١٢٢
٥٥	جورجي كنعان	امجاد اسرائيل في فلسطين – ص٤١
٥٦	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق –ص ١٨٠
٥٧	توفيق الحكيم	التعادلية مع الاسلام والتعادلية – ص ١٥٦ – ١٥٧
٥٨	توفيق الحكيم	مسرحية الملك اوديب – ص ٣٩ – ٤٠ – ٤١
٥٩	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق – ص ١٨٠
٦٠	توفيق الحكيم	فن الادب – ص ١٢٢
الرقم	**المؤلف**	**المرجع**
٦١	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق – ص ١٠١
٦٢	توفيق الحكيم	التعادلية مع الاسلام والتعادلية – ص ١٤١ – ١٤٤
٦٣	توفيق الحكيم	التعادلية مع الاسلام والتعادلية – ص ٣٧ – ٦٧
	توفيق الحكيم	تحت شمس الفكر – ص ٢٤ – ٢٦
٦٤	توفيق الحكيم	عصفور من الشرق – ص ١٨٨ – ١٩٠
٦٥	توفيق الحكيم	فن الادب – ص ٢٨
٦٦	توفيق الحكيم	حمار الحكيم – ص ١٦٠